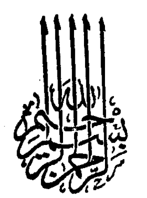


هل غير الدكتور طه حسين آراءه في سنواته الأخيرة

أنور الجندي

دار الاعتصام



(١)

هل غير الدكتور طه حسين آراءه فى سنواته الأخيرة

كان السؤال المطروح هو : هل حقيقة ان الدكتور طه حسين غير آراءه فى سنواته الأخيرة ؟ وكانت الاجابة على الوجه الآتى :

ان الدفاع عن طه حسين من بعض عارفيه ومريديه وكل من كان له عليهم فضل أو لهم به صلة ، هو من حقهم .. ولكن المعادلة الصعبة هى أن المسئولية الأخلاقية أمام الأجيال هى أكبر بكثير من العاطفة الفردية والهوى الشخصى .

ان هؤلاء القوم ما كادوا يرون هذه الصورة التى كشفت حقيقة طه حسين تنشر على الناس حتى بادروا الى الدفاع عنه بالقول :

- **لقد غير الدكتور طه حسين آراءه فى آخر حياته .**
- **لقد تراجع الدكتور طه حسين عن أخطر آرائه .**

والقصة تسمعها من الكثيرين .. ولكن هل هى صحيحة حقــا ؟..

الواقع أن هناك ما يمكن أن يقوله هؤلاء : ان الدكتور طه كتب كتابه « على هامش السيرة » وبه كفر عن « الشعر الجاهلى » ، وكتب كتابه « الشيخان » عن أبى بكر وعمر .. وبه كفر عن « مستقبل الثقافة » .

وذلك كله خداع وباطل .. فان الدكتور طه لم يغير آراءه مطلقا .. لأنه كما يقول الدكتور محمد نجيب البهبيتى : كان له حارس وديدبان يحول بينه وبين ذلك .. هذا الحارس مقيم فى بيته يلفت نظره دائما الى الخط المتفق عليه .. ولكن الدكتور طه غير اساليبه ووسائله فى سبيل ان يصل الى قلب القارىء المسلم .. وبعد أن كانت أساليبه هى الهجوم على الاسلام اصبحت تقوم على ترضى الاسلام داخليا ودس السم على مراحل خلال البحث ، ولا يقل السم المدسوس فى كتاب « الشيخان » عن السم المدسوس فى « هامش السيرة » او فى « الشعر الجاهلى » ولكن القوم لا يعلمون وسائل اخفاء الشبهات .

ان الذى يتردد على الألسنة هو : ان كثيرا من أصدقاء طــه حســين واجهوه برايهم فى « الشــعر الجــاهلى » أو « هامش السيرة » أو « مستقبل الثقافة » فقال لهم : « لو استقبلت من أمرى ما اســتدبرت ما كتبت الشــعر

الجاهلى » أو قوله : « اكتم عنى » أو قوله للسفير المسلم احمد رمزى عن كتاب مستقبل الثقافة : « اننى متفق معك على ان فى الكتاب اخطاء كثيرة » ذلك هو اسلوب طه حسين المرن الماكر الخادع الذى لا يواجه بالمعارضة او الهجوم ، ولكنه يلين حيث يرى أن صاحبه واع لسمومه ، فاذا وجد من يجهل لم يمتنع عن خداعه .. وقصته مع اللواء محمود شيت خطاب معروفة . فقد قال فى آخر أيامه أن القرآن كان غير منقوط فكان يقرأ على قراءات مختلفة ففى آية : « يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » كانت تقرأ فتثبتوا » فرده محمود شيت خطاب وقال له : هذا كلام أعداء الاسلام ..

أما القول بالتراجع فان هناك من الأدلة الكثير الذى يكذبه :

أولا : ان أسلوب التراجع معروف .. وهو أن يعلن الكاتب انه كان يقول بكذا ثم تبين له سوى ذلك ، وأن يوقف على الفور ما له من مؤلفات فى هذا الصدد .

ثانيا : أن يعلن انه اتخذ هذا الأسلوب كوسيلة للعمل ثم تبين له انه لا ينتج وانه تحول عنه .

ومثل الحالة الأولى الامام الأشعرى ، ومثل الحالة الثانية الدكتور محمد حسين هيكل .. فهل تراجع طه حسين

حقا ، عن رأى من آرائه وهو حى ، واعلن ذلك .. ذلك ما لم يحدث .. وهل يكفى ان يتراجع طه حسين عن راى أو آخر فى مسارة خاصة مع صديق ، دون أن يوقف هذا الراى عن الذيوع والانتشار .. ان ذلك لا يكفى ، بل ان هذا يؤكد اصرار الدكتور طه على الراى وحرصه على ان يذيعه فى الناس فيفسد به مزيدا من العقول والقلوب .. ولقد أشار كثيرون الى وقائع مع الدكتور احمد الحوفى والسيد محمد بهجت الأثرى ، وسعيد الأفغانى ، ولكن هل توقف طه حسين عن آرائه ، هل حدث تلاميذه بشىء من هـذا التراجع ، ان ذلك الأمر ظل قاصرا على مسمع عدد قليل من اصدقائه .

هذا شىء .. وهناك شىء آخر .. ان بعض مقالات الدكتور طه التى نشرها فى أول الشباب وفيها آراؤه الجارحة قد عاد فجمعها فى مؤلفات صدرت فى آخر حياته .. وهذا يعنى اصراره على تلك الآراء وانه لم يتنازل عنها ..

أما القول بأن كتبه على « هامش السيرة » أو « الفتنة الكبرى » أو « الشيخان » هى تراجع عن آرائه السابقة وتحول الى الاسلام فذلك قول ساذج وقد فندنا ذلك فى كتابنا عن طه حسين .. ونضيف بأنه كانت هناك مؤامرة وفشلت .. هذه المؤامرة ترمى الى تنصيب الدكتور طه (اماما للاسلام) وقد غضب القوم عندما هاجم الاســلام بعنف فى المرحلة

الأولى وطلبوا اليه أن يدخل الاسلام من باب آخر حتى يمكن أن تكون آراؤه حجة على المسلمين من بعد فى فتوى ضالة على النحو الذى حاول أن يتحدث به فى مؤتمر الحوار بين الاسلام والمسيحية .. وهو حوار مشبوه ، ولكن آراء طه حسين التى قدمها فى هذا المؤتمر لم تلبث أن أصبحت حجة من بعد ووصفت بأنها مبادرة طيبة ومقدمة لما قام به البعض بعد ذلك فى طريق محفوف بالمخاطر والشبهات ..

وكانت الخطة أن يعود طه حسين الى الاسلام فى ضجة ضخمة ، واختاروا لها وسيلة وخطة : أما الوسيلة فهى كتابه على هامش السيرة ، أما الخطة فهى الانضواء تحت لواء حزب الأغلبية (الوفد) لتكون قدرة طه ونفوذه اقوى فى تحقيق الأهداف المرسومة .. ولقد خدع كتاب هامش السيرة كثيرين وظنوا انها دعوة حارة الى الدين ، وخفى عليهم جانب السخرية والتهكم الواضح فيه والذى كشفه الرافعى منذ اللحظة الأولى .

أما « الفتنة الكبرى » فانه محاولة جريئة لتبرئة اليهود من فتنة (عبد الله بن سبأ) وهى فتنة ذات جذور عميقة فى تاريخ الاسلام فأراد طه حسين أن يخدم اليهودية العالمية بعمل آخر مضاف الى قولته فى ابراهيم واسماعيل ، وفى كتابته عن قضية اليهود فى المانيا وأوروبا ، ويتصل ذلك باصدار مجلة الكاتب المصرى ومحاضراته فى الدور الاسرائيلية فى القاهرة والاسكندرية .

وهناك الوثيقة التى تدحض كل الشبهات وهى حديثه مع مجلة الاثنين التى كانت تصدرها دار الهلال . والاتهام موجه فيها صراحة الى الدكتور .

واذا كانت هنـــاك محاولة لتبرئة الدكتور من آرائه القديمة فاننا نقبل بأى نص صحيح يكون فيه الدكتور طه قد تراجع عن رأى من هذه الآراء الخطيرة التى قدمها خلال حياته ومن خلال كتبه وآثاره .

وفى هذا رد على محاولة البعض بالقول بأن طه حسين صحيح العقيدة .

وهذه هى الوثائق :

● **رايه فى الدين :**

١ — ان الدين حيث يثبت وجود الله ونبوة الأنبيـــاء ويأخذ الناس بالايمان بهما يثبت أمرين لم يستطع العـــلم أن يثبتهما .. فالعلم لم يصل بعد الى اثبات وجود الله ولم يصل بعد الى اثبات نبوة الأنبياء .

٢ — ان العلم ينظر الى الدين كما ننظر الى اللغـــة وكما ينظر الى الفقه وكما ينظر الى اللبـــاس من حيث أن هذه الأشياء كلها ظواهر اجتماعية يحدثها وجود الجماعة وتتبع الجماعة فى تطورها وتتأثر بما تتأثر به الجماعة ..

اذن فالدين فى نظر العلم الحديث ظاهرة كغيره من الظواهر ، لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحى وانما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها .

« وهذه آراء الفيلسوف اليهودى دوركايم » .

● **رأيه فى القرآن :**

لاشك ان الباحث الناقد والمفكر الحر الذى لا يفرق فى نقده بين القرآن وبين اى كتاب دينى آخر يلاحظ ان فى القرآن اسلوبين متعارضين لا يربط الأول بالثانى صلة ولا علاقة مما يدفعنا الى الاعتقاد بأن هذا الكتاب قد خضع لظروف مختلفة وتأثير بيئات متباينة .. فمثلا نرى القسم المكى فيه يمتاز بكل ميزات الأوساط المنحطة ، كما نشاهد أن القسم المدنى اليثربى تلوح عليـــه امارات الثقافة والاستنارة .. واذا دققتم النظر وجدتم القسم المكى ينفرد بالعنف والقسوة والحدة والغضب والسباب والوعيد والتهديد ، ويمتاز كذلك بتقطيع الفكرة واقتضاب المعانى وقصر الآيات والخلو التام من التشريع والقوانين ، كما يكثر فيه القسم بالشمس والقمر والنجوم الى آخر ما هو جدير بالبيئات الجاهلية الساذجة التى تشبه بيئة مكة تأخرا وانحطاطا ، اما القسم المدنى فهو وديع لين مسالم يقابل السوء بالحسنى ويناقش الخصوم بالحجة الهادئة والبرهان الساكن الرزين ، كما أن هـــذا القسم ينفرد بالتشريعـــات الاسلامية كالمواريث والوصايا

والزواج والطلاق والبيوع وسائر المعاملات ، ولا شك أن هذا أثر واضح من آثار التوراة والبيئة اليهودية التى ثقفت المهاجرين الى يثرب ثقافة واضحة يشهد بها هذا التغيير الفجائى الذى ظهر على أسلوب القرآن .

« وهذه آراء الفيلسوف اليهودى جولدزيهر » .

● **رأيه فى الرسول صلى الله عليه وسلم :**

ونوع آخر من تأثير الدين فى انتحال الشعر واضافته الى الجاهليين وهو ما يتصل بتعظيم شأن النبى من ناحية أسرته ونسبه من قريش فلأمر ما اقتنع الناس بأن النبى يجب أن يكون من صفوة بنى هاشم وأن تكون بنو هاشم صفوة بنى عبد مناف وأن يكون بنو عبد مناف صفوة بنى قصى ، وأن تكون قصى صفوة قريش ، وقريش صفوة مضر ، ومضر صفوة عدنان ، وعدنان صفوة العرب ، والعرب صفوة الانسانية .

« وهذه آراء الفيلسوف اليهودى مرجليوث » .

هذه هى آراء طه حسين موجزة فى الاسلام والقرآن والنبى ، فهل غيرها ؟.

الواقع انه ليس هناك دليل من كتاباته الأخيرة أو آثاره من نص يمكن أن يدل على تغير هذه النظرة ، بل ان كل الكتابات توحى بأنها أساس لفكرته عن الاسلام ومفهومه له .

(٢)

حادث السطو التاريخى

عاد السؤال الملح الحائر حول الدكتور طه حسين مرة اخرى .. بعد أن عادت الصحف الى اعادة تقييمه ومحاولة رد اعتباره بكتابات ساذجة لا تخدع أحدا .. وكان اولى أن يوضع طه حسين فى قائمة كتاب السياسة الحزبية المتصارعة قبل عام ١٩٥٢ بكل ما صنعت من توسيد لمفاهيم الهجاء والكلمة الجارحة التى امتد أثرها الى مجالات الكتابة الأدبية والاجتماعية .. وقد كان طه حسين أحد الهجائيين الكبار .. فضلا عن ولائه للقصر ، وادعائه من بعد انه كان مبعدا أو مغضوبا عليه .. وهو الذى ترقى من أستاذ فى الجامعة الى عميد الى مدير الى وزير للتعليم .. ولم تكن عبارته الصارخة فى مدح الملكين فؤاد وفاروق الا رمزا لتلك العبودية ، وذلك الذل والخضوع .. وقد كان أولى أن يسقط طه حسين مع ذلك الركام الذى مضى وانتهى .. ولكنه اعيد لما يحمل من مفاهيم مسمومة يراد لها أن تنتشر وتشير أبحاث خصوم العرب والاسلام الى دعمها وحمايتها ..

ولقد كان كتاب (طه حسين .. حياته وفكره فى ميزان الاسلام) خنجرا فى صدور الكثيرين حتى جرت محاولاتهم لرد اعتبار طه حسين .. وسافر مستشرقون الى البــلاد العربية للحديث والمحاضرة عنه ، والاعتذار عن أخطائه .. وجرت تلك القالة المضللة بأنه تخلى عن أفكاره المسمومة .. ولكن الله الحق تبــارك وتعالى الذى يريد أن يظهر الحق ويؤكده شاء أن تصدر فى الفترة الأخيرة ثلاثة مؤلفات هامة وضخمة لرجال ثلاثة هم :

الأستاذ محمود محمد شاكر .

الدكتور نجيب البهبيتى .

الدكتور عبد المجيد المحتسب .

وهـــذه الكتب الثــلاثة كشفت مزيدا من الحقائق ، ودحضت كثيرا من أهواء القوم .. فهــذان رجلان تتلمذا على عميد الأدب فى الجامعة ، وقد شاء الله لهما أن يكشفا هذه الصفحة الخطيرة : صفحة السطو والمراوغة والمــكر التى اخفاها وراء مظهره الأنيق وكلماته البراقة .

فيكتب الأستاذ محمود محمد شاكر فى كتابه « المتنبى » فصلا مطولا فى ١٦٠ صفحة عن هذه العلاقة بين الأستاذ

والتلميذ على نحو يكشف عن المرارة الشديدة التى دفعت الطالب الصغير الى أن يترك كلية الآداب نهائيا تقززا وكراهية لذلك الأسلوب المسموم الذى يصطنعه عميد الأدب العربى فيقول فيما يقول :

الأمر وما فيه هو أن الدكتور طه حسين أراد أن يثيرنا نحن طلبة الجامعة يومئذ بمسألة غريبة هى مسألة « الشعر الجاهلى » .. هذه المسألة من حيث أن الشعر الجاهلى منحول موضوع ، وانه شعر اسلامى صنعه الرواة فى الاسلام مسألة كنت اعرفها قبل أن ادخل الجامعة ، وقبل أن يلقى علينا الدكتور ما القى .. لأنى كنت قرأتها فى مقالة الأعجمى « مرجليوث » ثم جاء الدكتور طه حسين يردد أقوال مرجليوث وآراءه وحججه .. بجوهرها ونصها .. فلم يزد الأمر عندى على أن يكون ما استمع عليه « حاشية » على متن من المتون .. ولكنها حاشية من نوع مبتكر .. هى حاشية الدكتور طه . على متن مرجليوث (وهى المعروفة عند الناس باسم كتاب فى الشعر الجاهلى) .

تتابعت المحاضرات وكل يوم يزداد وضوح السطو العريان على مقالة مرجليوث وهى مسألة فارغة .. بذرتها ثرثرة ، وشجرتها ثرثرة ، وثمرتها ثرثرة انشأت عندى قضية هى قضية السطو على أقوال الناس وآرائهم وأعمالهم ، ثم ادعاء تملكها بملك عزيز مقتدر ، ثم الاستعلاء بهذا الملك المغصوب ، والاستطالة به على الناس .. وأبشع من ذلك

أن ينكشف أمر هذا الغصب والسطو ويتسامع به الناس ، ويدل الكتاب والعلماء على الأصل المغصوب كتابة موثقة منشورة ، فلا يبالى الساطى بشىء من ذلك كله .. بل يزداد جراة وتيها ، وادعاء واستعلاء واستطالة .. وكأن الذى قيل عن سطوه لم يقل ، وكأن ظهور سطوه فضيلة ترفع من قدره ، وتنوه به فى المجامع .. أما انا فلم ازل اعد هذا المسلك احتقارا للنـــاس أى احتقـــار ، وازدراء بهم وبعقولهم ، وانزالا لهم منزلة من لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل ولا يحسن .. هذه هى القضية التى لم تزل حية فى نفسى منذ خمسين عاما . وكل يوم اقول لنفسى عسى ولعل .. واتوقع ان يذكر الدكتور طه اسم مرجليوث مرة وينسب الى الرجل رأيه فى الشعر الجاهلى مجرد اشارة .. يا لحيرتى وعجبى .. لو مرة واحدة ذكر الدكتور طه اسم مرجليوث لنجوت من هذه « الغول » التى كانت تفزعنى وتتشبث بى جارة لى فى قاعة المحاضرات وخارج القاعة .. وتفاقم أمر قضية السطو فى نفسى واستبدت بى جارتى الغول حتى لم تدع لى ولا لقلبى سكينة .. وسرت على الجمر حافيا ، وانا اسمع يوما بعد يوم قعقعة معنى الجامعة فى نفسى وهو يتقوض يريد أن ينقض .. وفى خلال ذلك كان منى ما كان يوم وقفت اجادل الدكتور طه فى « المنهج » و « الشك » حتى انتهرنى ، ثم استدعانى فدخلت عليه فعاتبنى وانا صامت لا استطيع أن أرد .. لم أستطع ان اكاشفه بأن محاضراته التى نسمعها مسلوخة كلها من مقالة مرجليوث .. لأنها مكاشفة جارحة

من صغير الى كبير .. ولكنى كنت على يقين من انه يعلم انى أعلم من خلال ما اسمع من حديثه .. ولكنى لم اكتمها فى حديثى مع الدكتور طه .. وهى انه سطا سطوا كريها على مقالة المستشرق الأعجمى .. صارحت بذلك « نلينو » و « جويدى » من المستشرقين وكانا يعرفان .. ولكنهما يداوران .. وطال الصراع غير المتكافىء بينى وبين الدكتور طه زمانا الى ان جاء اليوم الذى عزمت فيه على أن أفارق مصر كلها لا الجامعة وحدها » .

تلك هى كلمات قليلة مما كتب الأستاذ محمود شاكر عن الدكتور طه استاذه فى الجامعة تكشف فى وضوح خلفية طه حسين الذى يتشدقون بعظمته وفضله ، ونبل خلقه وعلمه .. ولكن مهلا .. فاليكم صورة اشد قوة يقدمها الدكتور محمد نجيب البهبيتى فى مقدمة كتاب ضخم بلغت صفحاته ٦٦٠ صفحة من القطع الكبير اخلصه كاملا للرد على سموم طه حسين وهذه هى الصورة التى رسمها بعلاقته به فى الجامعة .

اولا : فتح لطفى السيد باب الجامعة القديمة أمام هذه (المستشرقة) فأتاح لها فى ظل الشرعية العلمية فرصة العمل على تنفيذ برنامجها المخطط .. وطه حسين تكفل بالدعاية لها وبالمناداة على ما عندها .. وكان دخول هذه

الموجة التبشيرية الجديدة فى زفة العروس العامل الأول الذى غطى حقيقتها .

ثانيا : هــذه المؤسسة التى سميت تجاوزا وطموحا بـ « الجامعة المصرية القديمة » ، ما كانت الا مؤسسة ثقافية عامة يدب اليهــا من شــاء دون شروط أو قيود .. فالتقت فيها المتباينات ، واصبحت موردا مباحا للطموحات غير المتوازنة .. فدخلها طه حسين وهو الراسب بالجهل المركب فى (عالمية العميان) بالأزهر ولعل الدكتوراه لم توجد ابتداء فى هذه المؤسسة المتواضعة الا لانتشاله من الهوة التى القى به اهماله فيها وهو طالب فى الأزهر .. فلقد كان المشرفون على هذه الجامعة الاسمية يستأجرونه لحسابهم فى النيل المزرى بخصومهم .. ودخل طه حسين الجامعــة فى حماية لطفى السيد وحزبه .. وكان معروف الاسم بما شتم الشتم الذريع لألمع شخصيات ذلك العصر .. ولم يكن بعد غريبا أن يسحبه (سانتيلانا) الى مجالس الأزهريين ليحرج بالوحى المستنزل عليه أساتذته الأزهريين .. ومن هــذه الهالة الجامعية بدأت أعمال التخريب للحياة الاسلامية وكبدها وقلبها الحياة العربية .

ثالثا : كانت سياستهم بالقياس الى بنــاء طه حسين تتلخص فى نقاط اربع :

١ ــ تكبيره بالشهادة المصنوعة وبالدعاية .

٢ ــ نقله نقلا تاما الىَ معسكرهم عن طريق ايداعه دارا واعطائه حياة يصبحان القالب الدائم الملازم له فى أيامه ، قالب من حرير لكنه صفيق لا يلين ولا يتبدل .. ومن هنــا كانت المرأة الوفية جدا التى تزوجهــا فى باريس بواسطة قسيس ذكروا انه توسط فى اقناع أهلها على الموافقة بعــد رفض .. وقصة الرفض هذه لم تكن واردة قط .. فالفتاة فقيرة .. ولعل الشقة التى انزل فيها طه حسين فى باريس كانت هى مصدر العيش الذى كانت الأم تعيش منه مع راتب ابنتها من عملها على صندوق محل حلاقة فى الحى الجامعى فى باريس .. وقد ظلت الأم تؤجر غرف هذه الشقة لمن شاء حتى أيام كان الدكتور محمد القصاص فى باريس نزل عندها وظلت طول الليل تحدثه عن ابنتها .. وقضى ليلة واحدة نجا بعدها بجلده خوفا من أن يبلغ خبره طه حسين فيمسخه قردا .. فالأم وحيدة .. ولم يظهر فى الأفق المعروف لزيارات طه حسين لباريس أى عرض يشــير الى أقرباء للزوجة أو خالات أو أعمام أو جد للأولاد أو صهر للرجل .. وطه حسين لو وجد لها أهلا يصلحون للحديث ما وفره (ص ٢٠ مقدمة كتاب الدكتور البهبيتى) .

٣ ــ السفر كل صيف الى باريس .. ونفقاته تدبر من هنا فى مصر ومن هناك .

حكى لى الأستاذ ابراهيم مصطفى قال : ان طه كسب كثيرا .. ولكن اسراف امرأته لا يبقى على شىء .. كنت

أودعه على الباخرة الحاملة له الى أوروبا كل صيف فأجد رجلا من أصحاب دار المعارف فى وداعه معى فاذا لقيه سلمه صكا بألف جنيه على مصرف فى فرنسا ليغطى بعض نفقاتهم هناك .. أما فى فرنسا فقد كان طه حسين ابن فرنسا البار الوفى يلقى بما يلقى به الأوفياء وما عاد طه حسين الا ومعه كتاب كتبه هناك لا شك يلخص النتائج التى انتهى اليهـا الاستشراق الى اخراجها فى تكتيك العمل المتصل على تنفيذ الخطة المرسومة .

٤ ـ البيت الذى ينزله فى مصر لابد أن يكون قطعة تتمم الصياغة التى عاد بهـا من أوروبا ، ومن فرنسـا خاصة .. ولم يكن ينقصه الا السـكرتير فكان (جزويت القاهرة) يتولون توفير هذه اللمسة الأخـيرة .. وفريد شحاته كان احدى هباتهم له .. كان هبة كاملة لا ينقصها شىء : أعطى له عبدا لا يملك لنفسه شيئا .. فهو رهن أمره فى الليل وفى النهار وهو عكازته التى يتوكأ عليها حيثما ذهب .. عمل معه منذ نعومة أظفاره لا يكاد يتم السادسة عشرة وطرد بلا رحمة وقد أشرف على الهرم .. وعاش فريد مملوكا لطه حسين ما يقارب نصف قرن .. وهكذا قضى طه حسين عمره الطويل الذى جاوز فيما أعتقد التسعين فى هذا القـالب الحديدى .. بين امرأة نصرانية وسكرتير مسيحى منتدب من قبل الجزويت لا يغيب طه حسين عن عينه وهى عين الجزويت وولدين كلود ومرجريت لا يناديهما الأب

او الأم او السكرتيرة أو الخادم الا بهذين الاسمين .. كلود ومرجريت ..

رابعـــا : الدكتوراه التى يحملها طه حســـين ليست دكتوراه الدولة .. لانه لم يكن حصل على الشهادة الثانوية .. وقد امتحن فى غير مادة الشهادة التى منحت له اسما .. ثم عاد الى مصر ليدرس التاريخ الرومانى فى ظل شـــهادة اسمية .. والواقع الذى أعرفه عن طريق ابتلائى بالرجل انه لم يكن يعرف اللاتينيـــة التى طالما ملأ شدقيه بالقول انه درسها فضلا عن جهله الكامل للغة اليونانية .

خامسا : ما كدت اقترب منه حتى فجعت فى الصورة الخيالية التى كانت تقوم له فى ذهنى .. كان يقع وراء أسوار الجامعة كيانا طريا جدا ، كما تقوم القوقعة تحت الصدفة لا تكاد تمد يدك الى ما وراء الصدفة حتى تصـــادف كيانا هالكا .. فقد كان ذهنا هشا ، ومنهجا مراوغا زواغا هرابا الى السكوت عند احتدام الصراع وكان دائم التكرير لنفسه ما يقوله فى هذا العام هو نفسه فى العام المقبل » .

وبعـــد .. فما قاله الدكتور نجيب البهبيتى فى كتابه الضخم : « المدخل الى دراسة التاريخ والأدب العربيين » كثير ويمكن تقديمه للسادة المغرورين فى « عظمة » عميد الأدب ونحن على استعداد لأن نهدى لهم هذا كله — بالاضافة

الى ما قدمناه لهم فى كتابنا « طه حسين .. حياته وفكره فى ميزان الاسلام » نقدمه لرجاء النقاش وعبد المنعم شميس والآخرين .

أما الدكتور المحتسب فقد كان كتابه : « طه حسين مفكرا » عملا جديرا بالتقدير .. فهو رسالة جامعية قدمت لكلية الآداب فى الأردن .. وكاتبها لم يقرأ الا أعمال طه حسين ، ولم يتصل بالبيئة التى شاهدت عمل هذا الرجل ووجوده .. فكانت كلمته رمزا على الحق الخالص ..

يقول : « أربعون عاما ينفقها طه حسين فى الدعوة للفكر الراسمالى ، والثقافة الفرنسية والفرعونية .. ثم ينقلب ويتحول الى الدعوة للقومية العربية .. وطه حسين من بناة الفرعونية طيلة اربعين عاما .. فكيف يصير واحدا من بناة القومية العربية ، ولقد وفدت الدعوة الى القوميات فى بلاد المسلمين مع الأفكار الغربية الراسمالية وقد وظف طه حسين نفسه للترويج والدعوة — التى لا تعرف الملل أو الكلال — الى الفرعونية والدعوة الى القومية بضاعة أوروبية راسمالية فى العصر الحديث .

واذا كان طه حسين يروج للفكر الراسمالى والحضارة الغربية فلا غرابة فى دعوته وترويجه للثقافة اليونانية والثقافة الفرنسية » .

وقد وجد كتاب الدكتور المحتسب من أولياء التغريب خصومة شديدة .. فمنهم من حاربه كعمل جامعى ، ومنهم من حاربه كعمل أدبى .. وما كان الرجل طامحا الا الى أمر واحد هو ان يصدع بكلمة الحق ويكشف زيف هذا الطاغوت الواسع الشهرة .

ولا ريب أن هذه الكتابات الخالصة لوجه الله والحق تكشف فساد تلك الحملات الواسعة التى تجرى لرد الاعتبار لعميد الأدب بمحاضرات يلقيها المستشرقون فى الدول العربية أو فيلم سينمائى ساقط أو ربط طه حسين بالسيرة النبوية فما يستطيع ذلك كله بعد اليوم ان يحجب حقيقة طه حسين .

ومهما تكن عنـــد امرىء من خليقـــة
وان خالهـــا تخفى على الناس تعلم

* * *

(٢)

مهرجان طه حسين

كانت اكثر أسئلة الندوة منصبة على « مهرجان طه حسين » الذى عقد بهدف اعادة الثقة فى طه حسين وفكره ومفاهيمه بعد أن اهتزت فى العام الأخير (١٩٧٨) اهتزازا شديدا بظهور عدد من الكتب والأبحاث تكشف كثيرا من الأسرار .. وبالرغم من الجهد الذى بذله المستشرقون فى المهرجان للدفاع عن وجودهم من خلال الدفاع عن طه حسين .. فان الأحداث نفسها ارادت أن تؤكد الحقائق الصحيحة ، وتكشف الزيف المصنوع .. وكان من ابرز هذه العوامل فشل فيلم « قاهر الظلام » بعد أن عدل اكثر من مرة .. لأنه لم يستطع أن يقدم للناس الا صورة رجل محمول على أكتاف الفرنسيين ، وحياته كلها كراهية للاسلام وهجاء للأزهر فهم عند ذلك أنه هجاء للاسلام نفسه غير أنه مغلف بهجاء العلماء .. وقد حمل اكثر من خطيب فى المساجد يوم الجمعة على حلقات الأيام التى عنى باذاعتها استكمالا لحملة اعادة الثقة الى الجثمان الهامد .

وكان اخطر أحداث هـذه الساعات هو الخبر الذى نشرته مجلة اكتوبر والذى تسرب لأول مرة من أن الدكتور طه حسين زار اليهود وأم الجامعة العبرية بالقدس عام ١٩٤٤ حسب رواية الدكتور حسين فوزى .. وكان اذ ذاك مديرا للجامعة المصرية بالنيابة .. وقد تكتم الدكتور طه وأصحابه هـذا الخبر طويلا وان كان صمت طه حسين عن مسألة فلسطين خلال اربعين عاما يوحى بما يوحى فقـد عرف انه لم يكتب كلمة واحدة عن فلسطين حياته كلها .. وقد كان هذا اللقاء فى تل أبيب مقدمة لانشاء مجلة الكاتب المصرى التى مولها اليهود والتى يلفت النظر فيها مقاله فى العطف على مهاجرى اليهود الذين نزلوا فى ميناء حيفا وهو مسافر بالباخرة الى بيروت .

كذلك فقد كانت كلمة الأستاذ الكبير أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتــاة ، والمؤرخ الكبير الذى عايش الأحداث فى مجلة وزارة الثقافة ابان الاحتفال بطه حسين هى قنبلة الموسم .. فقد اشار الى ما كان قد كتبه الأستاذ فريد شحاتة سكرتير الدكتور طه حسين لأربعين سنة فى مجلة الاذاعة المصرية قبيل وفاة العميد بأن العميد اعتنق النصرانية فى فرنسا ، واقيمت الطقوس المؤدية الى ذلك فى كنيسة قروية بفرنسا .. واشار الأستاذ احمد حسين الى أن طه حسين « يمثل الفترة المرفوضة فى تاريخ مصر » ومن ذلك ما ذكره من أن طه حسين كان يكتب فى صحيفتين متعاديتين

فى وقت واحد .. كل منهما كان يعتبر الآخر كافرا .. ومع ذلك فقد كانت كلتا الجريدتين تفسح صدرها لهذا الطالب الأزهرى الكفيف .. وان كانت هذه الواقعة تقطع بذكاء طه حسين فانها تقطع بثورته على القيم السائدة .

وقال : ومن ذلك مقالاته فى الهجوم على الأستاذ مصطفى لطفى المنفلوطى .. نرى انه كان شعارا لغيره ممن يريدون النكاية بالمنفلوطى دون أن يجدوا فى أنفسهم الشجاعة .. فاستخدموا هذا الفتى الضرير الذى لم تنقصه الشجاعة فى تحدى الجماهير ، وكان يحصى عليه الألفاظ والتراكيب .. وغنى عن البيان انه ما كان لشاب مبتدىء فوق كونه كفيفا أن يخوض مثل هذه المعركة ازاء شيخ من فحولها .. وقيل أن الأستاذ محمد صادق عنبر هو الذى كان يزود طه حسين بمادة مقالاته (مع ملاحظة اننا ذكرنا هذه الواقعة بالتفصيل فى كتابنا) « طه حسين .. حياته وفكره فى ميزان الاسلام » .

ويقول الأستاذ احمد حسين :

« ونراه على سبيل المثال قطبـا من أقطاب الأحرار الدستوريين .. ثم نراه يتحول الى قطب من أقطاب الوفد .. وهو وضع انفرد به طه حسين .. وقد شاهدت مصر أقطابا يخرجون من الوفد ليصبحوا من معارضيه .. ولكنا لم نجد أبدا مع الوفد انسانا عارض الوفد ثم أصبح من أقطابه

حتى ليدخل الوزارة .. ولكن طه حسين كان هذا الانسان الفذ الذى خاصم الوفد اشد الخصـــام عندما كان الوفد هو القوة الساحقة الشعبية فى مصر ، ثم أصبح من اقطابه دون ان يرى فى ذلك اى حرج !!..

ثم قال الأستاذ احمد حسين :

ان ذلك يقطع بانه لا يحترم المبادىء ، ولا يقيم وزنا للقيم التى تعارف عليها البشر ، وان كل الذى يعنيه هو اثبات ذاته من خلال الخروج عن المألوف وما تواضع عليه المجتمع .. **لنتصور انه منذ سبعين سنة تقريبا حيث كانت فرنسا حامية المسيحية قد تزوجت فتاة فرنسية مسيحية من أسرة ممعنة فى المسيحية شابا مصريا فقيرا كفيفا مسلما .. وتم ذلك بمباركة الأسرة كلها بما فى ذلك القسيس قريبها ..** اقول أن تصديق هذه الصورة لا يكون الا بالغاء عقولنا وتكون رواية الأستاذ فريد شحاتة اقرب الناس الى طه حسين اربعين سنة هى الرواية الوحيدة التى تفسر لنا هذا الذى حـــدث .. فلابد أن يكون اشخاص ذوو نفوذ قد اشرفوا على العملية كلها ومولوها ، وتحدثوا عن الدور الخطير الذى سوف يقوم به هـــذا الشاب الذى وان كان ضريرا **فهو مقتدر** .. وسوف يعهد له بدور خطير فى حياته ، وبغير هذا الضمان والتمويل المالى بمبالغ باهظة مع الوعد بتقديم مبـــالغ اكثر وأن يعتنق طه النصرانيـــة كتأكيد لذلك كله

هو الذى يفسر لنا لماذا تم الزواج بموافقة الأسرة كلها .. ولماذا وافقوا على أن تسافر الزوجة الى المجهول .. الى أفريقيا ، مع شاب فقير ضرير .. انها قصة لو لم تكن حدثت بالفعل لما صدقها انسان ، ولا تعليل لها الا انها من نوع قصص المبشرين الذين قصدوا مجاهل افريقيا » .

هذا الذى ذكره رجل جليل الشأن ، وزعيم بارز .. هو الأستاذ أحمد حسين انما يمثل صوت الحق الذى أطلقه الله تبارك وتعالى فى احتفالات تكريم طه حسين ليكون تأكيدا لما قررناه وقرره محمود محمد شاكر ، ومحمد نجيب البهبيتى ، وعبد الحميد المحتسب وكثيرون .. وقد عرضنا لهذه النقاط فى كتابنا . ولكنا لم نتوقف عند نقطة اعتناق المسيحية وتركناها لبجليها الزمن ، والمعاصرون للواقعة وغيرها .. وعندنا أن ما فعله طه حسين هو أكبر من هذا الحدث لأنه كان ولاء للقوى العالمية الكبرى التى كان عليها أن تحارب الاسلام فى قيمه وتاريخه ، وقرآنه ورسوله ولغته .. وهو ما فعله طه حسين .. ولقد حاول كثير من خطباء المهرجان الدفاع عن طه حسين على طريقة من الطرق .. ومن يقرا كلام الأستاذ احمد حسين على يجد فيه الرد المفحم على ما نشره « كمال قلته » فى مجلة الجديد حين قال : « ان طه حسين يتسم بالشموخ » .. ولست أدرى .. أى شموخ هذا .. هل فى استسلامه للمستشرقين ، أم لرجال الأحزاب ، أم للملك ، أم لكل حاكم ؟!! ان أصح ما يوصف به موقف طه حسين هو « الذلة » التى ما بعدها ذلة والتبعية

التى وصلت الى ابعد حدود العبودية !!.

وفى خضم هذه الأحداث وصلت مجلة الأزمنة العربية التى تصدر بدولة الامارات ، وفيها مقال للأستاذ محمد راشد شبيطة عنوانه : « سبعة دكتوراه ضد العروبة والاسلام » وهو فيه يتساءل لماذا اعطت هذه الدول الأوروبية للدكتور طه حسين هـــذه (الدكتوراهات) اليس ذلك أمرا مثيرا للدهشة .. وهو يدل على شدة اهتمام الغرب بطه حسين ، وغرس افكاره فى نفوس الناس لأنها ضد الاســلام .. وكذلك اشار الى الظاهرة الخطيرة التى دعت الى ارسال مستشرق الى ابو ظبى وغيرها من البلدان للمحاضرة عن طه حسين .. ولماذا لم يحاضر مثلا عن ابن خلدون . ويقول : انه لم يأت الا ليتأكد اننـــا ما زلنا نقدس طه حســـين .. واذا كنا فعلا كذلك فانه سيعود الى اوروبا مطمئن النفس الى كوننا ما زلنا فى سبات عميق وان لم نكن كذلك فسيتكفل بغرس افكاره فى نفوسنا وعقولنا .

وفى مجلة الثقافة على عددين متتالين (ابريل ٧٩ ، مايو ٧٩) كشف فيها الكتاب حقائق مذهلة عن طه حسين .. فالأستاذ محمد عبد الغنى حسن عضو المجمع اللغوى يتحدث فى ست صفحات مطولة عن جريمة طه حسين فى حق الشاعر محمود ابو الوفا حين كتب مقالا حمـــل فيـــه على محمود ابو الوفا عام ١٩٣٤ قال :

« ان نقد طه حسين لأبى الوفا وشعره لم يصدر عن براءة وتنزه وحيدة .. ولكن أصدرته نفس فيها موجدة كثيرة على (أبو الوفا) وما أكثر ما كان الدكتور طه حسين يخضع نقده لاعتبارات خاصة وعوامل شخصية بعيدة عن نزاهة الرأى .. وذنب الشاعر أبى الوفا عند طه حسين انه لم يكن من شيعته ولا من حزبه وبطانته » .

ويكفينا هذا من الأستاذ محمد عبد الغنى حسن .

أما الموضوع الثانى فهو تعليق الأستاذ أحمد حسين الطماوى على كتاب فتحى رضوان (أفكار الكبار) فأشار الى هجوم طه حسين على صوم رمضان فى أشعاره القديمة وقوله :

لو أن لى فى النـــاس حكما نافـــذا
الزمت بالافطـــــار كل النــــــاس

وقد أورد فى مقاله الذى هاجم فيه الصوم (مجلة مصر الفتاة ١٩٠٩/٩/١٥) حيث قال : « نبغض الصوم ونمله » واستشهد فى ذلك بشعر لأبى نواس قال فيه ، اذا مضى من رمضان النصف حل لنا اللهو والقصف ، وشعر لابن الرومى وصف فيه شهر رمضان بأنه شهر ثقيل بطىء الظل والحركة .

وهكذا تنكشف خبيئية طه حسين قبل سفره الى أوروبا وهو ما اشار اليه الأستاذ احمد حسين من انه لا يحترم المبادىء ، ولا يقيم وزنا للقيم التى تعارف عليها الناس ، وانه منذ اتصل بالمستشرقين فى الجامعة المصرية القديمة فقد اعد نفسه لحياة معينة .. واشار الكاتب الى مغالاة طه حسين فى مدى تأثير الثقافة اليونانية على المصريين على نحو ما نقرأ فى كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر » غلوا شديدا اخرجه عن دائرة الصواب فى كثير مما قاله .

وردد الكاتب ما ذكره فتحى رضوان فى دراسته عن طه حسين ليوضح لنا اثر الثقافة الغربية ويمهد لهذا بقوله :

« وقد كانت نفس طه حسين كالمكان الفارغ .. فانه لم يحصل من العلم الأجنبى قبل وفوده الى مونبيليه وباريس الا قليلا ، ومن هنا كان يفرح بكل ما يصل اليه من كتب فرنسا واساتذتها وعلمائها ، ويعجب به ويتأثر به ظاهرا وباطنا ، ويراه المثل الأعلى » .

ومن بين ما تعلمه طه حسين فى فرنسا (علمانية الدولة) و (نزع قداسة الدين من النفوس) وراح يفصل هذا ويبين اثره فى تكوين افكار طه حسين وبالأخص الآراء التى أثبتها فى كتابه (فى الشعر الجاهلى) وردود رجال الدين والفكر عليها .

ولكن لماذا تأثر طه حسين بالثقافة الغربية ، وجنح الى التطرف والغلواء وخاصة فيما يتعلق بالعقيدة .. ان من يراجع مقالات طه حسين وقصائده المبكرة التى كان يكتبها فى الجرائد قبل اتصاله بفرنسا عام ١٩١٤ يقف على حقيقة مرة .. وهى ان هناك افكارا غريبة تكشف عن طبيعـــة عقيدته الدينية ، وأن هذه الكتابات تدعونا الى القول بأن نفسية طه حسين كانت مهيأة ابتداء لتلقى الآراء والأفكار التى القيت عليه فى السربون والتجاوب معها .. والا فبماذا نفسر عدم اعتناق الدكتور محمد صبرى السربونى لمثل هذه الآراء المتطرفة ، بل ان صبرى رد على ما كتبه طه عن الشعر الجاهلى مع الأخذ فى الاعتبار أن زوجتـــه كانت أوروبية أيضا واسمها سوزان أيضا » .

كل هـــذا الذى نشر عن طه حســـين مفرقا وحول المهرجان الذى حشد فيه المستشرقون الذين كانوا يدافعون عن فكرهم ووجودهم فى العالم الإسلامى وأثرهم فيه .. وكذلك التغريبيون من خلال طه حسين واحساسا بأن هدم طه حسين هو اكبر معول فى مؤامراتهم الخطيرة على الاسلام واللغة العربية والتاريخ والرسول صلى الله عليه وسلم .. كل هذا هو صوت الحق الذى شاء الله تعالى أن ينشر ليحق كلمة خالصة ، من خلال رجال اعلام : امثال احمد حسين وفتحى رضوان .. ولا ريب أن هذه الخيوط تكمل ما ذهبنا اليه ، وما نشره تلاميذ العميد وأقرب المقربين اليه .

ومن حسن الحظ أن هذا كله نشر فى مجلة وزارة الثقافة كما نشر بها مقال محمود محمد شاكر الذى يسجل فساد الاتجاه الأدبى فى الجامعة وكلية الآداب بفضل طه حسين ويأتى فى نفس الوقت الحديث عن مؤامرة طه حسين فى « الانتماء المصرى للعروبة والاسلام » وهو الموضوع الذى اثاره (عبد الحميد الكاتب) والذى يكشف بوضوح عن جريمة طه حسين فى تجريد المصريين من طابعهم كعرب وكمسلمين ، وربطهم بالفرعونية قديما وبالبحر الأبيض والغرب والحضارة اليونانية على نحو ذلك الأسلوب المضلل الذى ساقه فى كتابه « مستقبل الثقافة » والذى جاراه فيه بعض التغريبيين ، والذى اثبتت الدراسات والأحداث فساده وكذبه ، وهزمته الحقائق التى تكشف عنها وجه مصر العربى الاسلامى الذى شكل مصر اساسا ، وتكشف معه ضلال فكرة السبعة آلاف عام .. فقد أجمع المؤرخون المنصفون على أن هناك « انقطاع حضارى » بين عصر الاسلام وما قبله ، وأن الاسلام قد غير هذه البلاد جميعا ، وعزلها عن اللغات والعقائد والتقاليد ، والأساطير والوثنيات القديمة التى عاش فيها خلال الف سنة من حكم اليونان والرومان ، وفتح صفحة جديدة من التوحيد الخالص عن طريق القرآن واللغة العربية والاسلام ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن كل المحاولات الباطلة والزائفة لاعادة الفرعونية أو الفينيقية أو غيرها من الدعوات لم تنجح .. لأنه لا يوجد لها تراث ولا ثقافة لها أصول يمكن الارتباط بها ، وهذه الدعاوى من أمثال

ما كتبه محمد حسين هيكل وغيره .. وكذلك من ناحية اخرى فشلت دعوى المتوسطية والفكر اليونانى التى دعا اليها طه حسين ومحمود عزمى وأوليـــاء النفوذ الفرنسى السياسى فى الثلاثينيات والأربعينيات وتبين ان مصر تتجه الى قبلة الكعبة والى مصدر النور والرسالة الفكرية الثقافية والعقائدية .. الاسلام الذى جاء خاتما للأديان وجاء كتابه مهيمنا على الكتب وجاء كما قال الحق تبارك وتعالى : ((**ليظهره على الدين كله**)).

* * *

دار العلوم للطباعة
القاهرة، ٨ شارع حسين حجازى (القصر العينى)
ت، ٣١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٠٥/١٩٨٠
الترقيم الدولى ٩ — ١٠ — ٧٣٢٨ — ٩٧٧